

ملكات وقائدات ثائرات أيضا، وشاعرات وفنانات... سير احتفي بها كتاب «نساء سياسيات في مغرب الأمس واليوم : المقاومة والسلطة بصيغة المؤنث»، للكاتبة «أوزير غلاسي» .
إذ يحفر الكتاب في حياة نساء أهلهن التاريخ، وأخريات أزاحهن الرجل من طريقه إلى الشهرة، كما يتوقف عند محطات أساسية في حياة نساء معاصرات لازالت الذاكرة تنشج بذكرياتهن.

أوزير غلاسي تجمع في كتابها سيرة نساء من العاضي والحاضر

«نساء سياسيات»... سير تنبئ من أجل الاحتفاء

و زيدانة التي ساهمت في تكريس السلطة الاستبدادية لدى زوجها السلطان مولاي إسماعيل؛ وأم العز ولد فاطمة اللنان كانتا سفيرتين لدى أمم أخرى، فضلاً عن شخصيات أخرى طبعت التاريخ المغربي الحديث، أمثال مليكة الفاسي رائدة الحركة الوطنية، والمقاومة تورية الشاوي والمناضلة سعيدة المنبهي والصحفية عائشة المكي، وغيرهن.

نساء العصر الحديث

تبرز خديجة الرياضي، رئيسة الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، واحدة من أبرز نساء العصر الحديث، حيث تشير الكاتبة إلى هذه المرأة التي تعمل من أجل «حماية الحقوق الأساسية في المغرب والنهوض بها وتفعيلها». كما تبرز المناضلة التقافية خديجة الغامري، التي تناضل لصالحها الكاتبة باعتبارها امرأة تحث في خلالة البنيات الذكورية داخل الاتحاد المغربي للشغل، وعملت على أن تقتسم المرأة المغربية المجال النقابي وتفرض نفسها داخل هيئات الاتحاد.

ورغم أن الرياضي والغامري نجحتا في فرض تصوّر نسائي معين داخل المجالات التي اشتغلتا بها، ترى الكاتبة أن حكيمة الشاوي، مديرية مركز التربية على الحقوق الإنسانية للمرأة، امرأة قوية، لأنها عرفت بانتقادها الماذن للأحزاب السياسية والمجتمع المدني، على اعتبار أن هذه الكيانات السياسية هي الأقدر على تغيير العقليات الذكورية التي تميز المجتمع المغربي. كما ترى أن الخروج من هذا النظرة إلى مجتمع قائم على المساواة والإنصاف يقتضي تعبئة شاملة لدى النساء المغربيات.

رغم أن الكتاب غني بسير النساء المغربيات اللواتي ساهمن في تغيير وضعهن أو وضع المجتمعات التي عشن فيها، إلا أن الكتاب أغفل محاربات ورؤسات قبائل، من أبرزهن بطلة الأطلس المقاومة بطيو، التي عرفت بمقاومتها سلطة المخزن في الأطلس المتوسط، وكذا الطائع الأولى للوجود الأجنبي في المغرب. إلى جانب هذا، أغفل الكتاب إسهام النساء في حركات النضال، سواء بعد الاستقلال أو اليوم، رغم أنه يتوقف عند واحدة منها كالشهيدة سعيدة المنبهي. كما أغفل أسماء نساء بربن في حركات 20 فبراير الاحتجاجية التي على إثرها لجأت الدولة إلى تغيير الدستور.

مثل زينب التفراويبة، التي خصصت لها الكاتبة والصحفية زكية داود ورواية بعنوان «ملكة مراكش»، أو فاطمة الفهري، أو اعتماد الرميقي، وأخريات، فإنه يمكن اعتبار الكتاب كان سباقاً في الحديث عن نساء اشتهرن إما بحكمتهن في تدبير أمور قبائلهن، أو بتمردهن ضد السلطة المحلية، أو بنجوميهن وكفاءتهن في مجال من المجالات كالغناء، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى الشيخة خربوشة.

ومن أبرز الأسماء التي تتوقف عندها الكاتبة، خاصة فيما يتعلق بمعارضة السلطة المركزية الجندية فتو، التي قاومت الموحدين أثناء محاولتهم الاستيلاء على مدينة مراكش سنة 1147، وألسندة الحرة التي افتعلت المخططات التوسعية البرتغالية والإسبانية شمال المغرب. كما يمكن اعتبار الفنانة خربوشة إحدى النساء اللواتي قاومن السلطة من خلال الشعر والغناء. أما النساء اللواتي سطع نجمهن في مجال الفنون، فتورد الكاتبة سيرة نزهون بنت القلاعي، الشاعرة الغرناطية التي اعتبرت أول النساء في العالم، وحفصة الروكونية، معلمة أميرات الألوان في قصر الخليفة يعقوب المنصور، الخ.

وفي مجال السياسة والإدارة الترابية، تناولت «غلاسي» سيرة السيسية للا عزيزة تيسكسيوت التي عرفت بسلطتها الدينية والدينوية في وادي سقساوة، والقائنة شمسى الزواوية التي اشتهرت بتدبر أمور قبيلة بني يزناسن في منطقة الريف، وفاطمة الحررة، المرأة العبرية في قصر محمد أبو عبد الله، آخر الملوك العرب في الأندلس؛

تحكمها وقتاً طويلاً. وتقول الكاتبة إنها عملت خلال هذه المدة على توحيد القبائل الأمازيغية المحبيبة بمملكتها.

نساء شهيرات

إذا كانت الكاتبة تسلط الضوء على نساء شهيرات في التاريخ

آخر، تعتبر الكاتبة أنها تلتقي وتختلف في حبيتها عن مسيرة الملكة الطوارقية. تقول «غلاسي» إن تين هنان «كانت امرأة كاريزمية عظيمة ذات جمال لا يقاوم» مشيرة إلى أن جمالها وقوتها شخصيتها ظلت مثار إعجاب حتى بعد مرور قرون عن وفاتها، رغم أن المؤرخين لا يفهمون سبب حضور المرأة القوي في الذاكرة، وهو ما يجعلهم يطلقون عليها لقب «المراة اللغر». وقد اكتسبت

قوتها من دهائه وعزمها

وحكمتها، وكذلك من خبرتها

وتجربتها الحياة، على

اعتبار أن أول اختبار في

حياتها حدث لما هاجرت

من تافيلالت إلى منطقة

الهقار جنوب الجزائر،

ونجحت في أن تفلت من

أنباب الموت الذي يفرضه

عبر الصحراء على كل

عابريها.

أما فيما يتعلق

بالملكة الكاهنة، وهي

ثاني شخصية تتعرض

لها الكاتبة، فإنها تقول

إن المعلومات والروايات

التاريخية نادرة، حيث

يجهل أصلها. ذلك أن

البعض يرى أن ملكة

الإوراس»، كما تلقب،

تتذرع من الجزائريين، فيما

يرى آخرون أنها ابنة كاهن

أو قس مسيحي استقر

به المقام في تلك المنطقة.

كما لا يعرف المؤرخون أي

شيء عن دينها، بين من

يقول إنها يهودية، ومن

يرى أنها مسيحية. لكن

رغم هذا الجهل المطبق

بخصوص شخصيتها،

إلا أن المعلومات المتوفّرة

عنها تتفق على أنها لعبت

دورها في تاريخ المغرب

خلال الفتوحات الإسلامية

الأولى لشمال أفريقيا.

ويقال إنها أمرت بقتل عقبة

بن نافع، حيث كان لهذا

الأمر أثر واضح في تأجيل

نتائج الحفريات التي شملت ضريحها في

غزو المناطق الأمازيغية التي

في كتاب فريد بعنوان «نساء سياسيات في مغرب الأمس واليوم»، تكتب الكاتبة «أوزير غلاسي» على تقديم بورتريهات لنساء مغربيات طبعن السياسة الغربية بالمستهن وطابعهن الخاص. إذ يعتبر الكتاب، كما تقول الكاتبة، ثمرة بحث جاء نتيجة المقاومة والعوائق التي واجهت جماعات نسائية بالمغرب أثناء التعبير عن مواقف سياسية أو حملات الدفاع عن مشاريع وبرامج سياسية، خاصة في العقدين الأخيرين.

ولعل من أهم ما يميزه هذا الكتاب، الذي صدر قبل أيام باللغة الفرنسية، هو تركيزه على فكرة مفادها أن القضايا النسائية في المغرب لم تحظ بتائيد الأحزاب السياسية التي أبدت نوعاً من التحفظ تجاه مطالبات الكبri. ويشير إلى أن الإصلاحات المنشورة الواردة في الوثيقة الدستورية الجديدة شهدت على هذا التحفظ الحزبي والسياسي. كما يعتبر أن الجمهور المغربي لا يهتم بضرورة مساعدة احتكار الرجل للسلطة السياسية، على اعتبار أن اقتحام المرأة لها يمثل تهديداً الثقافة المجتمع المغربي وتقاليده المتوارثة. ذلك أنه كلما تعافت الحركة النسائية، كما يقول الكتاب، من أجل زعزعة البنيات الاجتماعية الأبوية، تحركت المقاومة من داخل المجتمع دفاعاً عن الدين والثقافة والتقاليد، الخ. إذ يستشهد هنا بما حدث سنة 1992، عندما جمع اتحاد العمل النسائي أكثر من مليون توقيع خلال ثلاثة أشهر من أجل تعديل مدونة الأسرة، لكن الإسلاميين اعترضوا على ذلك بقوة آنذاك.

نساء في التاريخ المغربي

في كتابة بورتريهات النساء المغربيات اللواتي بربن في تاريخ المغرب منذ القرنين التاسع والعشر، تعود الكاتبة إلى ما جمهه الباحث الأنثروبولوجي والرحالة الفرنسي «هنري لو» والرحالة وعالم الدين الفرنسي «شارل دو فوك»، اللذين اشتغلوا كثيراً على الثقافة المغاربية إبان مقامهما في المغرب. وأولى هؤلاء النساء، الملكة تين هنان، التي تعتبر الأم الروحية لطوارق الأهقار، حيث تعتمد الكاتبة، في تاريخها لهذه المرأة، على نتائج الحفريات التي شملت ضريحها في بداية القرن الماضي، فضلاً عن ثلاثة مصادر

